في سبيل الأزهر أيضاً

فائدة الأربعاء

للأستاذ محمد محمد المدني

أعتقد أن « الرسالة » لم تأت فيما مضى من تاريخها بمثل هذا العنوان ، ولولا أن أدخل في الحكومة بعض الغيب — كما يقول الجاحظ — لزعمتُ أنها لن تأتي بمثله في مستقبل عمرها الطويل !

وأعتقد أيضاً أن كل معنى من المعاني التي يحتملها هذا التركيب سيرد على الذهن إلا معنى واحداً : هو معناه المقصود !

« الأربعاء » ، يا سيدي القارئ ، هو اليوم الخامس من أيام الأسبوع كما تعلم ؛ أما الذي لا تعلمه — ولم أكن أنا أيضاً أعلمه — حتى علمته بالأمس القريب ، فهو أن لهذا اليوم فائدة ، وأن هذه الفائدة هي موضع تحقيق علمي من الطراز الأول ، لا يقوم به رجل من عامة العلماء ، أو من صغار رجال الأزهر ؛ ولكن يقوم به عالم خطير وفيلسوف كبير قد عرف بأنه فيلسوف الإسلام والمسلمين ، وتبوأ مقعده من جماعة كبار العلماء منذ زمن طويل !

تؤمن في جميع التجارب . فلا نخال أن أحداً سيتفقدها في الحرب الحاضرة ، أو يلوم الحكومة على وقاية المدنيين منها !

* * *

بدأت أكتب هذا المقال من وراء الورق الأزرق الذي يحجب السماء وفيه شبه منها

ثم فتحت النافذة فإذا السماء تشاركنا في التجربة من طرفيها

فهي كالمدنيين تحجب ضياءها ، وهي كالثغرين ترسل غبارها وحصباءها

قلت : الحمد لله مرة أخرى !

إذا اشتركت السماء في التجربة فلا خوف مما يرسله الفضاء ، وعسى أن تمضي التجربة وهذه الغارات الوهمية أقصى ما نعانيه في بلادنا ، فتظل في حرز من الغارات الحقة إلى يوم السلام .

عباس محمود العقاد

وهي لهذا جديرة بأن تجعل منها مقال اليوم ، فنشتغل بها قراء « الرسالة » هذا الأسبوع ، كما اشتغل بها في الأسبوع الماضي قراء مجلة أخرى حين نشر البحث فيها باحثه الجليل !

كتب كاتب من « قنا » إلى الشيخ الكبير قال :

« إن كثيراً من أهل قنا وضواحيها وغيرها من البلدان ، خصوصاً بعض أهالي جرجا ، قد اعتادوا أن يقوموا بعمل فائدة تسمى : « فائدة الأربعاء » ، وميعادها قبل الظهر بساعة تقريباً في اليوم المذكور من كل أسبوع بضريح سيدي عبد الرحيم القنوي رضي الله عنه ؛ والجميع — يا صاحب الفضيلة — يعتقدون نفعها ويرجون بركتها ، وهي مجربة بين الآلاف المؤلفة من المسلمين . وإلى فضيلتكم كيفية هذه الفائدة :

« يذهب من أراد قضاء حاجة (هكذا) ، أو تفريج كربة في اليوم والوقت المذكورين سالفاً ، ويجلس في ضريح سيدي عبد الله القرشي — وهو على مسافة قريبة من ضريح سيدي عبد الرحيم (رضي الله عنهما) — ويكون على وضوء ، ثم يقرأ سورة يس مرة أو ثلاث مرات ، بنية قضاء الحاجة ، أو تفريج الكربة ، وبعد ذلك يخرج من الضريح ، ثم يصلي ركعتين لله تعالى بنية قضاء الحاجة أيضاً ، وهو عاري الرأس ، في مكان متوسط بين الضريحين ، وبعد تمام هاتين الركعتين يأخذ عمامته في يده وحذاءه تحت إبطه ، ويتوجه إلى ضريح سيدي عبد الرحيم ، ثم يتجه إلى القبلة ، ويدعو بالدعاء الآتي عاري الرأس أيضاً : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم ، وبأبينا آدم ، وأمنا حواء ، وما تناسل بينهما من الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وبعبدك هذا سيدي عبد الرحيم ، أن تقضي حاجتي ، وهي كذا ... »

قال السائل : ولكن ظهر في هذه الأيام عالم من المتصدين للوعظ والإرشاد ، ينكر هذه الفائدة قائلاً : إن هذه الفائدة لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد خلفائه الراشدين . ولقد حدثت فتنة كبيرة بسبب ذلك بين المعتقدين لها ، وبين العالم المذكور ، لذلك رأيت أنا ولفيف من إخواني المسلمين أن نلجأ إلى فضيلتكم لتفتونا في هذه الفائدة لنكون على بصيرة

منها لما نعهده فيكم من العلم ، والحرص على نفع المسلمين ، وتعريفهم أمور دينهم الخ »

هذه هى القضية ! فماذا قال فيها « أبو جسن ! » ؟

قال — نفع الله الناس بعلمه — :

« الجواب عما سألت عنه من فائدة يوم الأربعاء ، أن ذلك جائز لا شك فيه ، بل هو مرجو البركة ، وبركة الأولياء لا ينكرها إلا مخذول . ولست أدرى : أى شىء فى ذلك ؟ وهل فيه إلا عدة أمور بعضها جائز ، وبعضها مندوب إليه ؟ ولا شك أن المساجد محل الرحمات والبركات ، والتوسل بالأولياء والصالحين جائز لا شىء فيه ، وقد ورد الأمر به ، فى الحديث عن عثمان بن حنيف وأظنهم يعرفون ! » ولست أدرى من هم الذين يظنهم مولانا ؟ ؟ ولعله يريد الواعظ المسكين الذى يشير إليه صاحب السؤال !

قال الشيخ : وتوسل عمر بالعباس ، ولو كان الأمر على ما ظن هؤلاء ما صح أن يقول عمر : اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبيك العباس ، والمتوسل طالب من الله ، مستشفع إليه بأحبابه فلا معنى لتلك الترهات ، لأن لهم منزلة عند الله ، وسيشفعون بمقتضاها فى الآخرة ، والأولياء أحياء عند ربهم يرزقون ، ومن اعتقد أن من ينتقل من الدنيا يلتحق بالعدم فهو مكذب أو جاهل بما ورد فى ذلك من المتواترات ... الخ ... الخ

ثم قال بارك الله للمسلمين فى حياته :

« وبعد ، فلست أدرى لماذا لا يشنون الغارة على المنكرات المجمع عليها ؟ وما أجدرنا أن نخاطبهم بقول الشاعر :

أفتتركون المنكرات سَبَهْلَلاً؟ وتحاسبون على اقتراف الذَّرَّةِ

أفتصلحون البيت من شرفاته ؟ ما أنتمُ إلا كأهل الكوفةِ الخ

* * *

عفواً ، يا قراء الرسالة وصبراً ، فإنما أردت أن أهدى إليكم طرفة من الطُّرَف التى وعدتكم بها يوم كتبت مقالى الأول « فى سبيل الأزهر » وقد أبى الله إلا أن تجىء هذه الطرفة من حيث لا أحتسب ، على يد أستاذ مبرّز من جماعة كبار العلماء فى الأزهر الشريف !

ولست أريد أن أنقد هذه الفتوى ، لأنى رجل من صغار العلماء ، وليس من الأدب الذى درجنا عليه وأخذنا به أن يتطاول الصغير إلى مقام الكبير . وفى منصب الإفتاء رجل علاّمة ثَبَتٌ محقق ، هو صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم ، يعرفه الناس فقيهاً جيد الفقه ، بصيراً بما يتناول منه ؛ وعند جهينة الخبر اليقين !

ولكنى أقتصر فيما يتعلق بهذه الفتوى على تسجيل بعض « الظواهر » واستجلاء بعض « الغوامض »

السؤال الذى بنيت عليه الفتوى يعرض المسألة على أنها عقيدة لإقليم من أقاليم مصر العليا ، ويذكر أنها أمر من أمور الدين ، وأنه حدثت بسببها فتنة كبيرة بين عالم واعظ وبين معتقديها : هم يتمسكون بما يعلمون منها ، وهو يقول لهم : لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خلفائه الراشدين

فكيف عالَجَت الفتوى هذه النواحى :

إنها أقرت المعتقدين على ما يعتقدون ، فذكرت لهم أن هذا جائز لا شك فيه ، واستدلت على ذلك بأن هـذه العملية ما هى إلا مركبة من أمور بعضها جائز ، وبعضها مندوب إليه ، وأن التوسل على هذا النحو وغيره مأمور به فى الحديث

أما ما يخص العالم الواعظ منها فهو قول الشيخ: «وبركة الأولياء لا ينكرها إلا مخذول » و « أظنهم يعرفون ! » و « لا معنى لتلك الترهات» و«من اعتقد كذا فهو مكذب أو جاهل بما تواتر...الخ»

وتخرج الفتوى بعد ذلك عن نطاق ما هى فيه ، فتنكر على الناس أن يتعلقوا بصغائر الأمور دون كبارها ، وأن يتركوا المنكرات المجمع عليها «سبهللاً» ويحاسبون على اقتراف الذرة . الخ

هذا ما أردت أن أسجله من ظواهر الفتوى . ويجب أن يفهم هنا أنه لا شأن لى بأن التوسل بالأولياء جائز أو غير جائز ، ولا بأنه قد أُمِرَ به فى الحديث أو لم يُؤْمَرْ به فى الحديث

ولا شأن لى بحياة الأولياء عند ربهم ، ولا بكيفيتها ، ولا بنوع العمل الذى يدخل فى قدرتهم بعد موتهم ، أو الذى لا يدخل

لا شأن لى بشىء من ذلك كله ، فقد تكلم فيه الناس كثيراً وللشيخ فيه جولات ، ولخصومه جولات ! كما للشيخ فى حياة الأرواح وعجائب الأرواح جولات ، ولا نحب أن نشغل بشىء من ذلك قراء الرسالة

ولكنى أتساءل : أيكفى أن يكون شىء مركباً من أشياء بعضها جائز وبعضها مندوب إليه ليكون حقيقة معترفاً بها من الشرع ؟ حتى لو لفّق مُلفق بين عدة مندوبات وعدة واجبات أو جائزات ، وأنشأ من ذلك عبادة يلتزمها ويتقرب إلى الله بها على وضع خاص لما كان فى ذلك ملوماً ؟

ثم ما هى المسائل التى هى منكرات تجمع عليها ، وقد تركت من غير بيان حتى صارت « سبهللا » بهذا التعبير الظريف ؟

وما الموازنة بين هـذه المسائل المعروفة التى أجمع الناس على تحريمها ، والمسائل التى شغف كثير من الناس أن يلبسوها ثوب الدين وما هى من الدين ؟

وإنى لأتوجه بعد ذلك إلى أستاذنا الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مفتش الوعظ والإرشاد لأسأله : ماذا فعل الله بهذا الواعظ المسكين الذى أنكر « فائدة الأربعاء » ، وأثار عليه الشيخ هذه الحرب الشعواء ؟ أتركته إدارة الوعظ بين هؤلاء القوم محصوراً لعلهم يقضون عليه ، أو يسيئون إليه . أم أنقذت المسلمين فى قنا وضواحى قنا منه إن كانت تعتقد أنه شر ووبال ؟

أما بعد :

فإنى أقول لأصدقائى وشيوخى الذين أنارسهم كلمتى السابقة ، فعلقوا عليها قولاً وكتابة بأقوال وألوان شتى من « التعليقات » : إنى أحب الأزهر كحبكم ، وأنا فيما أعتقد أشد له حباً ، ولكنى أكره هـذا اللون من ال . . . ولا أقول كما قلت فى المرة السابقة من التسكع العلمى ، ولكنى أقول : من «التلطف العلمى !» فى الوقت الذى يشتغل العالم فيه بحرب عامة ، أقامت الدول وأقعدتها ، ويوشك لظاها أن يأتى على الأخضر واليابس من الأموال والأنفس والثمرات

لا تشغلوا الناس بهذا النوع من الأبحاث فى الوقت الذى يستمعون فيه كل يوم إلى أخبار الطائرات التى تمخر عباب الجو ، والمظلات الواقية التى تتساقط بها الجنود جيوشاً من السماء !

إننا نسمع ذلك ، ونسمع من ورائه أحاديث الناس فينا ، وأقوالهم عنا ، فهل يجوز مع هذا وذاك أن نشغل الناس « بحديث الأربعاء » ؟

أستغفر الله العظيم ! فإن « حديث الأربعاء » عنوان قديم لكاتب لا أحبه ، كان يتحدث فيه عن الأدب والأدباء ، وإنما أردت أن أقول : « فائدة الأربعاء » ففسيت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره !

وعلى ذكر الشيطان ، أهمس فى أذن الذين ما زالوا يشغلون أنفسهم ويشغلون الناس بأمره : لست صاحب الموضوع ، وإن صاحبه لمعروف لكم غير مجهول ، فناقشوه صراحة ، ولا تجعلونى بينكم وبينه ترساً إن كنتم تجدُّون

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

M. Arab. 144

عن جريدة حشرة الملاريا

أنا أدعى أنوفيل ولست يونانيا أو مصريا بل أنا دولى ونحن نسكن فى جميع الأقطار ويخشى الناس بأسنا فى كل مكان

لقد مضى زمن كنا فيه أقوى من الملوك والقواد وكنا عال ظهورنا مرهوبين كالموت نفسه

آه كم كنت أتمنى لو كنت من جملة السرب الذى نهر بريروس فى إيطاليا وطرده الوغول الكبير بابار البنجابى .

فان حشرة واحدة منا تكفى لكى تمحى تماما كل المشاريع الجميلة والسبب كان يبقى خفيا لأن هذه الحشرة كانت تعمل فى الظلام

ولكننا لم نركن إلى الهدوء حتى خلال هذه القرون الأخيرة فلا يمكن إحصاء المشاريع التى أخفقت بسببنا والسكان الذين محوناهم فنحن نعكر صفاء كل شىء . فلا يزال الانسان يبنى ويهتم بأشغاله وبلذاته وبغتة أظهر أنا أنوفيل وأنا أطن فرحا بهدوء مفتشا عن محل صغير جميل حيث أوكز بسرور وأحفر حفرة صغيرة جداً فى جلد المسكين فامتص بعض نقط صغيرة من الدم وينتهى عملى فأعيد الكرة وأهدم فى ثانيه واحدة عملا دام سنين طوالا يظن أنى بموض اعتيادى ولا يعرف أنى أنا الأنوفيل ولكن عندما يرتجف من الحمى حينئذ فقط يذكرنى

ولكن خطراً كبيراً يهددنا . فيكفى حسب رأى لجنة الملاريا فى جمعية الأمم ٤٠٠ ملليجرام يوميا مدة موسم الحميات حتى يقى الانسان نفسه من العدوى التى أحملها أنا وقد وصف هذه اللجنة لمعالجة إصابة الملاريا كمية جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا يوميا للأخذ منها مدة خمسة أو سبعة أيام فسبى ليس له هذه المقدرة كى يقاوم علاجا بهذه القوة .